عملة واحدة

كانت كلمات الأغاني تغذي أحاسيسي المتدفقة، فأعيش معها لحظات حب لا تنتهي إلا بنهاية الأغنية، كل الكلمات تتغنى بالحب وتدور حوله، الحب الذي أحياه دائماً، فأنا امرأة عاشقة، أعشق اللحظات الدافئة، أعيش مع الكلمات الموسيقية مشاعر متضاربة؛ هجر، عشق، خداع، حب، رغبة، لا يهم كم تسرق الكلمات من وقتي أو من تسرق، المهم أن أعيشها.

قالوا عني جميلة، فصرت جميلة، أعرف كيف أبرز هذا الجمال وكيف أستغله جيداً، أعرف كيف أُحَرِّك عيني كالسهم فتصيب الهدف، وللعيون لغة يدركها العشاق جيداً.

قالوا عني لعوب، فتقمصت الشخصية، نحن نصدق كلام الآخرين لو ظلوا يرددونه دوماً، بل نصبح أحياناً كما رددوا، أصبحت امرأة لعبتها الرجال، خاصة بعد فشلي في زواجي الثاني.

زوجي الأول لم يقدر جمالي، أراد لي الأمومة، والأمومة تتلف الجمال وتتعارض معه بعض الوقت، وأحياناً معظم الوقت.

زوجي الثاني كان عاشقاً للجمال، ولكنه كان يبحث عنه دوماً،

فالجمال لا يستقر في مكان واحد، ولا يحصره زمن ولا عمر. لم يكتف بزهرة واحدة، تعلمت منه كيف أنتزع الرجال المتزوجين، فلقد انتزعته مني امرأة أخرى، لم تكن أجمل، فقط كانت لعوباً، تجيد فنون اللعب لدرجة الاحتراف.

عندما تم طلاقي للمرة الثانية حملت اللقب، قالوا: لعوب لا تجيد البقاء مع زوج ولا إنشاء علاقة ثابتة، بعد طلاقي الأول كنت جميلة فقط، بعد طلاقي الثاني صرت لعوباً، هذا اللقب اللعين ظل يطاردني بإلحاح حتى صدقته، واعتنقته أيضاً.

بعد طلاقي الثاني تزوجت مرتين، صار الطلاق أسرع من الزواج في حياتي، فالرجل المتزوج؛ الحياة معه قصيرة، البقاء معه ضربة حظ لا أريدها، أريد المال، فلقد أضفت لعبة المال إلى لعبة الرجال، أضفت إلى نفسي أموالاً وعقارات وماسات ذات قيمة كبيرة، لابد أن يكون كل شيء بثمن.

هو.. لعبتي الجديدة، ولكنني للأسف أحببته، وتمنيت أن يكون محطتي الأخيرة، في هذا اليوم كنا معاً نرقص، والرقص اتصال وتواصل، عناق طويل على إيقاع راقص، لم أكن أذوب مع الكلمات والأنغام، لم أنس الدنيا كما كنت أهمس، لم تكن رومانسيتي على

مـا يرام رغم ثبات كل شيء، المكان نفسه، الموسيقى نفسها، الحبيب نفسه، ولكنني لست أنا، كان عقلي هذه المرة بعيداً عنه، مع زوجته، لم أشـعر أبداً بما يسمونه وخز الضمير وأنا ألقاه وأعرف أن له زوجة، فهـذه لعـبتي، إنه رجل جذاب للغاية، مركز اجتماعي مرموق، نفوذ ونقود، أي احتياج لا يحققه رجل مثل هذا لديه كل شيء !

لم يكـن يـتحدث عنها أبداً، ترك المجال لخيالي بحدوده الضيقة، تخيلـتها غـير جمـيلة، غـير أنـيقة، ذات جسـد غير متناسق، خيالات كثيرة، تمنيت أن ألقاها، لا أعرف لماذا ؟

سـعيت جاهدة لهذا اللقاء، لا أريدها أن تعرف من أكون، أريد لقاء لا شبهة فيه، وتحقق لي ما أردت.

وجدت امرأة تغلبت على كل خيالاتي، بل حطمتها وتجاوزتها، جمـيلة، أنيقة، ذات قوام متناسق، جمالها حقيقي بلا مساحيق، أناقتها بلا رتوش إضافية، لابد أن صاحبة هذا الوجه الخالي من الألوان واثقة بنفسها، امرأة تكره الخداع.

تحدثت معي طويلاً، في كل شيء وعن كل شيء، شديدة الثقافة وهـذا مـا أفتقده تماماً، فثقافتي محدودة للغاية، يسهل الدخول معها في أي حـديث، سمعـتها، تأملـتها، كانـت رائعـة، تطـرق الحديث إلى

العلاقة بين الرجل والمرأة، تعمدت هذا، أريد أن أعرفها، أن أقترب منها ولو بقدر ضئيل، فهذه منطقتي وحدود ثقافتي، حدثتني عن المرأة وكأنها كائن لا أعرفه، عرفت أشياء لم ألحظها في نفسي من قبل، جعلتني أحب كل امرأة، تجاوزت حدودي الضيقة، وأضافت إليّ، كانت عميقة الفكر، تغوص بعيداً عميقاً في نفسك فتستخرج كل شيء، من الصعب أن لا تمنحها مفاتيحك، من الصعب أن تتلون أمامها، فهي امرأة بلا مساحيق، تواضعها المحسوب يمنح قرباً لا حدود له.

دون أن تقصد واجهتني بنفسي، جردتني، كسبت الجولة التي ظننت أنني سأكسبها، اكتشفت أمامها أنني لا شيء، مجرد ألوان وعطور فاخرة وملابس عارية، جسد متناسق، أشياء تذبل وتتبدل، من أنا ؟ لوحة جميلة، قليل من الماء يمسح معالمها، ألهذا أحبني ؟ لأنني مثله زائفة، جمعتنا المظاهر الخادعة، لم تحاول أحاديثنا العابرة أن تصل إلى الأعماق، كل منا لا يجيد السباحة، لا يرى من الآخر إلا ما يخدع البصر.

من أنا ؟ مجرد محطة في حياته ، بعد لقائي بها، أدركت لماذا لم يطلقها، أدركت أنه لن يطلقها، أنه يحبها، يعرف قيمتها، هي المحطة الأخيرة، هي صدق بلا زيف.

قبل أن أراها راهنت على أنني سأنتزعه لنفسي، ظننت أنني سأكسب، أقسم لي أنني الحب الوحيد الذي احتواه، وأنني المحطة الأخيرة التي لا سفر بعدها، كيف لم ألاحظ أنه تعهد أن يتخلى عن كل شيء إلا هي، كاذب، ولكنني صدقته، قبلت خديعته لأنني مخادعة مثله، إنه زائف مثلي، نحن وجهان لعملة واحدة.

هي في حياته حب عاقل، أنا حب عابر، لحظات، وقت يمضي، معها كل شيء محسوب وبدقة، معي كل شيء مباح وسهل.

أدركت إنها البطلة الأولى التي تحصد الجوائز، أما أنا فصاحبة الدور الثاني، قد يكون مهماً، ولكنني سأحلم دوماً بدور البطولة، أدركت أن هذا الكيان العملاق الذي يحتويني مجرد قزم، قزم صغير أمامها، لابد إنها تتجاهله، تتجاهل زيفه وتتذكر أمومتها وعقلها، عقلها الذي يمنحها الثبات.

همس في أذني: ماذا هناك؟ ما الذي يشغلك؟

لم أكن أسمع الموسيقى، كنت أرقص بلا نغمات، حركات غير محسوبة، دست قدمه كثيراً، أوجعته، تنبهت، عاد إليّ العقل الذي رحل بعيداً، رأيته ولكن هذه المرة كان مجرد قزم، لابد أن أحصل على دور البطولة المطلقة، وإلا فالانسحاب هو الحل الأفضل، عرفت أنني

قد أكون مجرد نزوة، منحني المال والماس ولكنه لم يمنح وعداً بالزواج، أدركت أنني من السهل أن أحصل على مكان بقربه، ولكن من الصعب أن أحصل على المكان نفسه في قلبه، بدأت أمل الفشل والطلاق، لم أعد بحاجة إلى مزيد من المال، امتلكت ما كنت أتمنى، المال يمنح السعادة، ولكنها سعادة مؤقتة، أريد علاقة ثابتة تملأ حياتي، استيقظ داخلي شعور غريب لم أشعر به من قبل، أظنه الأمومة.

بدأت أسمع الموسيقى، شعرت بأن حبي سينتهي بنهاية الأغنية، لا أريد أن أبقى محصورةً في الدور الثاني، قد يكون البديل رجلاً آخر متزوجاً، لا يهم، المهم أن لا تكون في حياته زوجة مثل هذه، هذه التي جردتني.